

التراث يعطي الامة شعوراً بوحدةها وظورها الى تجديد رسالتها

بعد ٢٣ شباط ١٩٦٦، وخلال اختفائي في دمشق، استعرضت في ذهني تاريخ الحزب^(١) . .

في أوائل الأربعينات كان هناك في نظرنا، العرب، وأوروبا، وكانت فرنسا تحتل سوريا ولبنان وأقطار المغرب العربي . . وكان لجيلنا أن نما وكبر في جو الاحتلال. فلسطين كانت في أذهاننا دوماً . . وكذلك الأقطار التي كانت تحت الاحتلال البريطاني . وإذا كان هناك شيء آخر فهو شيء بعيد، وباهت .

من هنا تشكلت بداية الحزب الفكرية، كما تحدد الموقع المصيري الذي يكون الفكر تعبيراً عنه واتساعاً له . ومن جهة ثانية فإن أوروبا ولدت نظاماً جديداً، هو الحزب الشيوعي السوفيتي . . وله حزب شيوعي في وطننا . .

إذاً، كان هناك استعمار غربي، وحركات تدعو للتحرر بمفاهيم غربية . يقابل هذا الشيوعية، وهي حركة قوية تخاطب عقول الشباب وليس الجماهير . . وهي وان كانت من نتاج التفكير والثقافة الغربية، الا انها كانت مرتدة عليها، وناقدة لأسسها . لقد كان الصراع المباشر مع الغرب . . أما الصراع غير المباشر فكان مع الشيوعية، كحل ممكن وقابل لأن يحتل عقول الأجيال العربية .

مرحلة الثورة، أو التهيؤ للثورة لا تكون خصومتك الفكرية مع الرجعية - وإن

(١) حديث لمجلة آفاق عربية، بتاريخ ١٩٧٦/٤/١ .

كنت تحاربها - وانما تكون مع الذي يحارب الرجعية ليأخذ دورك . ومن هنا كان ما يشغلنا هو: كيف نستطيع محاربة اوربا الاستعمارية في الوقت الذي نتفادى فيه خطر الشيوعية، كفكر يؤثر على عقول الشباب ويجعل من نفسه البديل لحركتنا؟ هنا لا بد أن نتساءل: كيف نكون ثوريين اشتراكيين مجددين وفي الوقت نفسه نرى في الشيوعية خصماً فكرياً بدلاً من أن نرى فيها صديقاً وحليفاً. علماً بأننا كنا من الناحية السياسية نقدر دور الاتحاد السوفيتي في السياسة الدولية ونعرف نقاط الالتقاء الحتمي بين مبادئه ومصالحه وبين طريق الثورة العربية؟

لولم نكن واثقين من صحة منطلقاتنا ومن ان لنا دوراً أساسياً في حركة الثورة العربية، لما كنا أجزنا لانفسنا ان نهاجم الشيوعية ونخاصم الشيوعيين في السنوات الاولى لنشوء حزبنا، بل لجاز ان نرى فيها حينذاك، مثلما نرى اليوم، لوناً تقدماً وحليفاً. ولكن المسألة كانت مسألة صراع حيوي على الدور القيادي لحركة الثورة العربية، فضلاً عن ان الصيغة الستالينية قبل ثلاثين عاماً كانت عاملاً هاماً في خلق تلك الفجوة بيننا وبين الشيوعية.

قراءة جديدة للاسلام كشفت لنا عن حقائق أساسية في روح شعبنا ونفسيته واطاعت لنا طريق العمل الثوري.

وثمة واقع ذاتي جاء في الوقت نفسه تعبيراً عن واقع موضوعي . . الواقع الذاتي هو انني شخصياً، في بداية تكوين الحزب، اكتشفت الاسلام . اقول اكتشفت ولا أعني انني لم أكن أعرف الاسلام - فقد كانت هناك ألفة منذ الصغر - اكتشفت الاسلام كثورة . . كتجربة ثورية هائلة، وقرأته قراءة جديدة من هذا المنظار . . في انه: عقيدة، ونضال في سبيلها . . وقضية هي قضية أمة، وقضية إنسانية . بل انه قضية أمة بتصور إنساني اوسع . . ونضال على اروع ما يكون بأعلى مراحلها وبما فيه من تنظيم دقيق وثقيف، إلا أنه أيضاً دين . فهو تجربة ثورية، السماء فيها متداخلة بالأرض.

لولا هذا الاكتشاف لما كان مستبعداً ان يأخذ تفكيرنا، كشباب مثقف مخلص لبلده يريد ان يعمل شيئاً، بأحدى الصيغ: إما التحرر بالصيغ الغربية . . وهذه كانت

معروفة عند الكثيرين ولم تكن شيئاً معيباً . . وإما صيغة أخرى أحدث وفيها نزعة تقدمية، وجدة . . وهي صيغة الماركسية، او الشيوعية وفيها النقد للمجتمع والاستغلال الرأسمالي والطبقي . كل هذا كان وارداً . وقد مشى عشرات المثقفين العرب في هذه السبل .

● لماذا اختط حزب البعث طريقاً خاصاً به؟

هذا أمر لم نتحدث فيه، لأننا لانريد الدعاية . . ولكن بعد أكثر من ثلاثين سنة من نشوء الحزب علينا أن نذكر ذلك ونقول: ان الفضل في ذلك يرجع الى اكتشافنا الاسلام .

ان المسلم لا يكتشف الاسلام . . وكذلك البعيد عن الاسلام، الذي يكتشف ينبغي أن يجمع بين الاستعداد النفسي وبين الجدة . . أي ذلك الذي لم تُضعف العادة والألفة حساسية عينيه وأذنيه .

فالمسلم الذي نشأ في بيت مسلم منذ طفولته، وأعتاد دوماً سماع الكلام عن الاسلام، يتكون عنده نوع من الضعف في رهافة الحس والذهن، فلا يرى الجديد في هذا الكلام، ولا يدرك المعنى العميق والهزة الروحية . . كما يحصل حين يهزك الكلام الذي تسمعه لأول مرة .

● ولكن هل اكتشاف الاسلام وقراءته قراءة جديدة هو، فقط، ان شخصاً وضع جهده وقرأ الاسلام قراءة جديدة؟

لا، فهناك ظروف موضوعية للامة العربية . . للثورة العربية، هي مواجهة الاستعمار الغربي والحضارة الغربية، والسؤال عن سبيل الخلاص، عن كيفية الانقاذ . كيف نتحرك؟ كيف نتقدم؟ هل بالشيوعية؟ .

قرأنا الاسلام . هذا الاسلام هو: الاسلام بعد قراءة الشيوعية . . بعد مواجهة التحدي الاستعماري الغربي وحضارته وبعد الاطلاع على الحل الثوري الشيوعي الآتي من الغرب ايضاً . فهي، اذاً، قراءة من خلال موقف مصيري من تحديات الاستعمار والحضارة الغربية، ومن تحديات الفكر الشيوعي .

المهم هو هذه الصورة التي انطبعت اثناء القراءة الجديدة للاسلام، والتي

أعطت أشياء أساسية، بعضها واضح، وبعضها واقع بين الوضوح والابهام . .
ان الأمة التي يختارها القدر لتكون مسرحاً لمثل هذه التجربة البشرية السماوية،
هي أمة حكم عليها، والى الابد، أن تكون متميزة عن باقي البشر، لانها ذاقت طعم
شيء لم يشاركها أحد فيه . ونحن هنا نستبعد - طبعاً - كل المعاني السطحية لهذا
الكلام، كالغرور والانتفاخ والتفاخر . . فليس هذا هو المقصود عندما أقول ان الامة
العربية تميزت بهذا الحادث الفريد الذي طبعها الى الابد . . وانما فعلاً، لا يمكن أن
تستطيع شيئاً أقل من مستوى الوحي الألهي . . الشيء السماوي الذي هو ايضاً،
بشري متجسد في عقل بشري واضح .

عندما نضع يدنا على هذه الميزة التي للامة العربية بهذا الوضوح وبهذه
الواقعية، وهذه القوة، فلا شك انها توحى بطريق خاص للثورة العربية ليس المطلوب
فيه ان نخالف العقل البشري، أو ان نخالف العصر والقوانين العلمية . فمن ضمن
القوانين البشرية، ومن ضمن قوانين العقل والعلم يعطي هذا الأكتشاف لحركة الثورة
العربية خصوصية . . يعطيها مستوى، وأخلاقية معينة . . كما يعطيها سعة انسانية،
وكونية . . يعطيها اتساعاً وشمولاً .

قلت ان المواجهة كانت بالدرجة الاولى مع الشيوعية، فنتيجة تقدير لاهمية
الشيوعية في هذا العصر، ونتيجة حساب بانها قد تكون البديل لفترة من الزمن،
وبالتالي تصبح عامل تشويش وتضييع للوقت على الثورة العربية . . ونتيجة الأحساس
بأن الثورة العربية لا بد ان تكون جذرية وحاسمة، نظراً لفداحة الاخطار وضخامتها -
الاخطار المحيطة والنازلة بالامة العربية من الاستعمار والصهيونية - ونتيجة الاحساس
بان الغرب يتابع حرباً مزمنة ضد الامة العربية منذ مئات السنين . . واختمال ان تجد
الشيوعية قبولاً - خاصة ان وراءها دولة عظمى هي الاتحاد السوفيتي - لانها حل
جذري وحاسم ويمكن أن يظهر بانه متكافئ مع الاخطار والقوى المعادية للامة
العربية . . فنكون قد دخلنا في متاهات ليس لها آخر .

ولكننا كنا ندرك، نتيجة اكتشافنا للتراث، بأنه بالرغم من كل هذه الاعتبارات
فإن الامة العربية لا يمكن آخر الامر أن تقبل بالشيوعية .

لا أريد القول ان الافكار كانت كلها جديدة. لانها في الجو العربي . . ولكن الحزب كثفها واحسَ بها بقوة اكبر، انبعثت كلها من لحظة اللقاء مع التجربة الخالدة. لذلك بدأنا من وحدة الامة. كانت الامة مجزأة، والقطر الواحد مجزأ ومشتت. لكن وحدة الامة واجهت رسالة أخرى، هي رسالة الشيوعية. الامة العربية لها رسالة لاتستطيع التنازل عنها وتبني غيرها. فالامة العربية شغلت بحضارتها ثلث التاريخ البشري، كانت هذه الحضارة احدى الحضارات الانسانية الثلاث المؤثرة. على ضوء تجربتنا القومية وقراءتنا لتراثنا، فسّرنا الشيوعية بأنها «رسالة الامة الروسية». فالشيوعية نظرية معروفة لاوروبا بصورة خاصة وللعالم بصورة عامة. . وقد وجدت الظروف الملائمة لها في هذا البلد غير المصنّع خلافاً لقوانينها نفسها. الامة الروسية التي كانت متخلفة هي التي تبنت الشيوعية. اذن كانت الامة الروسية في حالة تأهب لاعطاء مساهمة حضارية عالمية. . ينبيء بذلك الكتاب الذين ظهروا فيها كتولستوي ودوستوفسكي ودلّوا على ان هذه الامة كانت مهياً للعطاء الحضاري. . فتلقت الماركسية وجعلتها مناسبة لانضاج الحالة الثورية التي كانت تتمخض عنها.

من غير المنطقي ولا المقبول، الحديث عن الرسالة، بدون ارجاع الامة العربية الى وحدتها الكاملة، فالامة العربية في عودتها الى تراثها تشعر بأنها أمة واحدة وان لها رسالة لايمكن ان ترضى عنها بديلاً.

ولكنها في واقعها الراهن أمة مجزأة الى اقطار ودويلات بعضها يخضع للاحتلال والاستعمار الاجنبي وكلها تعاني التخلف الحضاري. وعندما تدخلها الحركة الشيوعية فإنما تدخل على اجزائها في ظروفها المتخلفة الضعيفة، وهنا يظهر الخطر نتيجة عدم التكافؤ بين وضع القطر العربي المدرك لضعفه وعزلته وبين الحزب الشيوعي الذي يخاطبه ويتعامل معه باسم «النظرية العلمية» العصرية وباسم الحركة العالمية وبالاستناد الى نفوذ احدى أكبر دولتين في العالم.

فالتراث وحده يعطي الامة شعوراً بالوحدة كما يعطيها حق الطموح الى حمل الرسالة.

قراءة التراث تعطي للثورات في العالم، ولثورات هذا العصر، بما فيها الثورة العربية، نسبة معينة، لأنها جميعاً ثورات بشرية بحدود طاقة الانسان، مهما بلغت هذه الطاقة. وتجربة الامة العربية من خلال الاسلام فيها شيء مطلق. . في حين ان كل شيء آخر نسبي، قد يعيش عشر سنوات، أو مائة سنة. . ولكن ليس فيه الخلود. هذا بالذات اعطانا جرأة معينة لنقد الشيوعية، تجاوزنا اوضاعنا القومية الى الاوضاع الانسانية عامة. أي ان نقدنا للشيوعية لم ينحصر في ان الشيوعية لاتلائمنا كعرب، بل تعداه الى الكشف عن النقص الاساسي في هذه النظرية بالنسبة للعرب ولغيرهم.

عندما نقول ان القومية شيء خالد، وإن الشيوعية قفزت من فوقها ورادت ان تحطمها، فإننا نكون قد وصلنا الى ان نكتشف شيئاً له صفة الشمول، بالمعانة كامة وكعرب. تأتي نظرية ثورية وتدعي أنها تقدم لنا الحل للخلاص، ولكن بضمن باهظ لا يمكن أن نقبل به. . أن نعتبر قوميتنا مرحلة وشيئاً من مخلفات الماضي^(١). فتقرير حقيقة العامل القومي شيء انساني. . وهو شيء عام وليس خاصاً.

أشرنا الى نقص أساسي في الشيوعية وفي الماركسية، يصح على العرب كما يصح على غيرهم من الامم، وهاهو الحزب الشيوعي الفرنسي يعود اليوم الى المواقع القومية.

من الطبيعي ان نكتشف حقيقة ثانية لاتقل أهمية عن الاولى، وهي حقيقة الدين، فطريق البحث كان نتيجة اكتشاف الاسلام، كدين وتراث، واذا كان للتراث

(١) «النظرية الشيوعية وليدة الغرب وقومياته المتعصبة المتناحرة، وصناعته المتضخمة. لذلك فهي في البلاد العربية تحارب امراضاً غير موجودة، أي انها تلهي العرب عن محاربة امراضهم الحقيقية. فالشيوعية تهدم العصبية القومية في امة لم تتكون قوميتها بعد، وتخشى من هذه العصبية على الامم الاخرى وعلى السلام العالمي في وقت لا يزال العرب فيه محكومين من قبل غيرهم. وأخيراً فالشيوعية تمنع العرب من التفكير في اشتراكيتهم والاهتداء اليها، لانها تدعي ان الاشتراكية هي الماركسية، ولا اشتراكية الا فيها وبها. وليس بعسير على العرب ان يهتدوا الى اشتراكية عربية مستمدة من روحهم وحاجات مجتمعهم ونظرتهم الحديثة». - ١٩٤٤.

صفة قومية فإن الدين شيء انساني لا ينحصر بالعرب، والدين بصورة عامة حقيقة انسانية الا أن عوامل سلبية قد تطرأ عليه فتشوهه، وتضعفه، وتجعله احياناً عامل تخلف، وعامل استغلال وعبودية، ولكنه في الاساس شيء ايجابي موجود في أعماق النفس البشرية . .

استلهام التراث يعطي الثورة شيئاً مميزاً، هو أخلاقية متميزة، فالنظريات الاجتماعية التي كانت أساساً للحركات والانقلابات في هذا العصر، اخذت المجموع كعامل أساسي، كما أخذت العوامل الموضوعية (الاقتصاد في الشيوعية مثلاً، والعنصر والمميزات البيولوجية في النازية).

التراث يبرز أهمية الفرد والانسان، دون التقليل من أهمية الجماعة ومصالحها وقوتها وتنظيمها . . ولكن الاساس في الجماعة هو الفرد . . الانسان الذي له عقل وضمير وسلوك .

ان الامانة للماضي هي في الاختلاف عنه، وبمقدار ما نختلف عن الماضي نكون أوفياء وأمناء له . فالذي يريد ان يكون مثل عمر بن الخطاب في هذا العصر يجب ان لا يكون نسخة طبق الاصل عنه وانما يجب ان يتوخى ان يكون ذا تأثير يوازي تأثير عمر بن الخطاب في زمنه، وهنا يتضح الفرق بين التقليد وبين الابداع . فاذا أردنا ان نفهم الماضي فهماً ابداعياً فيجب ان نأخذ منه الروح والجوهر، الذي يعني الثورة، فاذا كنت مؤهلاً للابداع تتمكن ان تعطي أشياء يختلف ظاهرها كل الاختلاف عن الماضي، ولكنها على العموم، التعبير الامين عن تأثرك بالتراث، فقد أخذت من الماضي الجوهر الذي هو في حقيقته الثورة على البالي، على الضار، وعلى الفساد من أجل تجديد الحياة .

فنحن ضد تمجيد التراث وتعظيمه بدافع الرهبة منه والشعور ازاءه بالضعف والعجز، وضد النظرة الخارجية للماضي، القائمة على التقديس والذوبان امامه، وانما نحن مع المشاركة والمعاناة والوصول الى التقديس نتيجة الفهم الواعي، والى الاعجاب عن طريق المشاركة الفعالة حسب ظروف عصرنا . . لان الاعجاب بالتراث وتقديسه لا يأتي من مجرد الوقفة المنبهرة أمام عظمته، وانما من استيعاب

روحيته والعمل بوحى منها. فالنضال ودفع ضريبة النضال لقهر المجتمع الفاسد، المجتمع القديم البالي، وبناء المجتمع الجديد هي الفهم الحقيقي، وبالتالي هي الاقتراب الصادق من روح الاسلام، الذي هو عقيدة، وجهاد في سبيل العقيدة.

ان العلاقة بالتراث يجب ان تمر بثلاث مراحل:

المرحلة الاولى:- مرحلة الاطلاع على التراث لاكتشافه وفهمه.

المرحلة الثانية:- الافتراق عنه، بحيث نسير في طريقنا الخاص، طريقنا المتميز، الذي هو قدرنا، بعد تأثرنا بهذه الرؤية.

المرحلة الثالثة:- الالتقاء من جديد بالتراث بعد ما نكون قد أدينا قسطنا من النضال، وأصبحنا ثوريين حقيقيين ومناضلين مجاهدين، وبالتالي قادرين على فهمه فهماً حقيقياً فكلما تقدمنا خطوة على طريق النضال يزداد فهمنا الحي له، وهذا يعني ان فهم التراث مرتبط بالخطوات النضالية، والخطوات الجادة على طريق بناء المجتمع الجديد.

هناك مواضيع أخرى.. مثلاً، موضوع الحياد الايجابي.. صحيح ان الحزب لم يناد به، الا بعد سنوات من تأسيسه، كسياسة دولية ولكن بذرة فكرة الحياد الايجابي موجودة في أصل التصور الاول.. وهو استقلالية الثورة العربية، استقلالية الامة العربية، فالامة العربية، هي بحد ذاتها وزن عالمي ولا يمكن ان تنحاز، لان لها طريقها الخاص، ولها رسالتها، فالثورة العربية، التي هي الكشف عن طاقات الامة العربية وازالة العراقيل من وجهها، واطلاق مواهبها وامكانياتها وتحرير مجتمعتها، هي ثورة لها مقاييسها السليمة⁽¹⁾.

لقد خلصنا من معاناة الواقع الحي الى هذه النتيجة: باننا نحن، كامة عربية في طور الثورة، اصدق ثورية من كل الثورات.. ومن كل من يطلقون على أنفسهم

(1) «ان حرص العرب على رسالتهم الخاصة بهم وعلى استقلال شخصيتهم لا يعني منهم تعصباً ورغبة في الانعزال والجمود. ففي حاضرهم وماضيهم ما يكذب هذه التهمة.. ولكنهم مقتنعون بأن كل اصلاح او تقدم لحياتهم لا يستمد دوافعه وغاياته من عقيدتهم القومية ومن الايمان بوجود رسالة عربية خالدة، سيكون تقدماً سطحياً يعجز عن توحيدهم ورفعهم الى مستوى الابداع والبطولة، ويتركهم افراداً متنافرين، تستعبدهم الانانية وشهوة الفادة. ١٩٤٤ - ١»

صفة الثورية، لاننا نعاني الظلم من الاستعمار. . ونعاني، ايضاً، الغبن ممن يدعون صداقتنا ومساعدتنا. .

فأصول وجذور نظرية الحياد الايجابي وعدم الانحياز هي بالدرجة الاولى، في خصوصية الامة العربية وخصوصية ثورتها. . فهي امة ذات رسالة عالمية. . رسالة انسانية. . واذن، فهي مستقلة لانتحاز.

وجذورها تأتي، ثانياً، من معاناة الواقع، لان ظروفها الراهنة وضعتها في مواقع اقرب من اية ثورة اخرى من المبادئ. . فهي متطابقة مع المبادئ التي تنادي بها. انها تتحالف مع الدول الاشتراكية في النضال ضد الاستعمار، ولكنها لانتحاز. أي انها تتعاون وتتساعد، ولكنها لانتحاز. . بمعنى ان لها فكرها المستقل، وموقفها من القضايا العالمية الاساسية، موقف مستقل. . لانها تعتبر نفسها اكثر مبدئية من غيرها. .

هذه الفكرة تطورت مع الزمن، وتوضحت أكثر فأكثر، خاصة بعد قيام الكيان الصهيوني، لان الظلم الواقع على الامة العربية، والعدوان والاعتصاب، وكل العوائق الاستعمارية، واضخم ما فيها اقامة الكيان الصهيوني، كل هذه فرضت على الامة العربية أن تكون ثورتها اعمق، واكثر مبدئية في العصر، لانها بدون ذلك لانتطيع ان تغالب هذه القوى المعادية.

● هل تعتقد ان بإمكان الحركات التحررية ان تستفيد من تجربة الحزب، على

صعيد الفكر، والتطبيق؟

لقد بقي فكر الحزب مجهولاً غير مشروح، وغير منشور على نطاق واسع، فهو لم يترجم. . ولم يطلع عليه الا القلائل ضمن اهداف دراسية. . وهذا نقص كبير بلا شك، وان كانت له، في الوقت نفسه، ناحية ايجابية.

هو نقص كبير، لأننا لم نتفاعل مع غيرنا. . كنا نستطيع أن نفيد ونستفيد لو اننا ترجمنا افكارنا منذ وقت مبكر، فنتصل بالاحزاب المتقاربة معنا في العالم الثالث بخاصة، ونتحاور معها ونتعاون.

هذا كله كان يمكن ان يعطي حركتنا جواً أرحب تتنفس فيه ، وأفقاً أوسع . .
ويساعدنا على ان نؤثر في أوساط وبلدان أخرى .

نتيجة هذه العزلة النسبية التي بقينا فيها فترة غير قصيرة . . ماذا حصل ؟
حصل ان البلاد الاخرى والحركات الاخرى ، تطورت حسب توقعاتنا ، أو نحو
شيء قريب من توقعاتنا . . ولكن دون تأثير مباشر منا . الاحداث سارت كما توقعنا ،
وكأننا نتنبأ في صومعة . بينما لو كنا نشرنا أفكارنا . . لو كنا ترجمناها . . ربما كنا
اختصرنا الزمن على أنفسنا ، وعلى غيرنا ، نتيجة التفاعل بيننا وبينهم . .

حركات التحرر في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تلتقي معنا في بعض الاشياء
المهمة ، وفي شوط طويل من الطريق ، ولكنها تظل اصغر منا . وتظل طريقها اقصر
واضيق . ربما كانت عندها اشياء نفتقدها نحن ، لو اطلعنا على هذه الحركات بانفتاح
فربما كنا سنجد اشياء ثمينة . ولكن اذا اخذنا الامور بنظرة بسيطة ، فمن غير المنتظر
ان نجد لدى غينيا ، او غانا ، او الهند ، هذا التصور . فالهند ، مثلاً ،
لديها تراث فلسفي ضخم . . ولكن لانه ليس لديها هذا الحدث الخارق - أي
الاسلام - ، لم تصل الى مثل هذا التصور .

وفي آسيا شعوب عريقة لها حضارات ترجع الى آلاف السنين . . لكن لا موقعها
الجغرافي ولا حضارتها ولا حاضرها ، يؤهلها لهذا الطموح . . هذا الطموح الموجود
بشكل طبيعي غير مفتعل وغير مصطنع عند الامة العربية . . الذي يأخذ ، احياناً ،
على السنة بعض الكتاب والشعراء لهجة جاهلية من الفخر . . ولكن لو تم النظر اليه
بشكل هادئ ، لوجد انه شعور صادق وعميق بأن الامة العربية لها دور آخر ، ووزن
آخر . . لها رسالة ، موقعها الجغرافي المتوسط بين القارات . . العداة لها كان قبل
اكتشاف ثرواتها . . أي ان الاقتصاد فيها ليس هو الشيء الالهام والباعث على هذه
المنافسة وهذا العداة . ان المنافسة هي بسبب هذا الدور الحضاري الذي جاء به
الاسلام . خذ الهند مثلاً . . ليس هناك عداة لها ، أو للصين وفيتنام . . فباتهاء
الحرب فيها انتهى كل شيء . أما العداة للعرب فباطنه الخوف من امكانيات الدور
الانساني الذي يمكن أن يؤول اليهم والذي عليه برهان في الماضي ، وهو الحضارة

العربية ايام العباسيين وفي الاندلس ، فعندما تكون لدى العرب هذه القابلية لخلق وتكوين حضارة كهذه، فان الغرب يفهم ما معنى ذلك . . ويفهم ان هذه الحضارة قابلة للتجدد .

ولكن لم يعد الغرب منفرداً في السيطرة على العالم . . ولا هو الواضع الوحيد لقيمه الحضارية والاخلاقية . لذلك فان الفرصة امام العرب أكبر مما كانت عليه في القرن الماضي . حينما كانت اوربا هي المسيطرة . الصهيونية هي الاختراع الجهنمي للاستعمار الغربي ، اختراع رهيب ولكن نهايته الفشل .

لم يكن هنالك سلاح افتك منه ليوجه الى العرب . ان كل العداء التاريخي الغربي ، مضافاً اليه الطمع والجشع الاستعماريان في النهب والاستغلال ، قد أوجد هذه الواجهة التي فيها بعض الشبه الخادع بالخصائص العربية . . كأنه سم مصنوع لهذا الجسم . فالصهيونية حركة عنصرية تقوم على دين سامي فيه الاطلاق . . لان فيه التوحيد، وفيه الشعور القومي كذلك، وفيه فكرة الرسالة . ففي الدين اليهودي ، وفي الصهيونية نفسها هناك شيء من هذا . . ولكن الفروق اكبر بكثير من نقاط التشابه . أي ان الاختلاف اكثر بينها وبين القومية العربية . . لدرجة تبدو فيها الحملة الصهيونية ، وقيام الكيان الصهيوني وكأنه الوجود المعكوس والمشوه والقيض للكيان العربي . . لمقوماته ولروحه . . ولطموحه .

ان اليهود ظلوا اقلية صغيرة ، مزاياهم هي مزايا الاقلية الصامدة . ولكن عيوبهم هي ، ايضاً عيوب الأقلية المنعزلة ، الحاقدة ، المعقدة . . التي مهما حاولت ان تبرز وتتفوق وتنجح في مجالات كثيرة ، تظل وكأنها تتوغل في العزلة ، وفي الغرابة والشذوذ . فظل اليهود أسرى هذه الفردية الموحشة ، التي تضعف من انسانيتهم .

الشعب العربي ، بفضل الاسلام ، (لأنه بدون الاسلام كان يمكن أن يبقى بعقلية قبلية) شعب واسع ، رحب ، لاكتنفه العقد ، وهو منفتح متسامح ، مستقر على أرضه ، غير مشرد وغير تائه ، مؤمن بالمستقبل ، وواثق بهذا المستقبل مهما حدث . تحرر من العنصرية ومنذ مئات السنين دخلت اليه عناصر مختلفة امتزجت به واصبحت جزءاً منه . فهو انساني بعقيدته وبتكوينه ايضاً ، وبامتداد رقعة وطنه . . فقد

تكوّنت الامة العربية، بالاضافة الى الشعب العربي، من شعوب كانت في السابق قريبة من العرب، ولكنها ليست عربية، مهياة لأن تتعرب. فانصهرت في بوتقة حضارية وروحية واحدة.

هذه من ابرز المزايا التي في يدنا كأمة عربية: الاتساع. الانفتاح. الانسانية. فالامة العربية تبدو وكأنها مصغر للانسانية. . ليست معزولة على الهامش، وليست حاقدة، رغم كل ما أصابها. هذا، كمقارنة بين اليهود، والشعب العربي. ولكن المقارنة مع الصهيونية تظهر ضعف الصهيونية وامراضها التي تحكم عليها بالفشل. . هذا الفشل الذي يبدو وكأنه حتمية. هذه السليبات الموجودة في اليهود الصهاينة، مضافاً اليها العدوانية، كنزعة من نزعاتهم، جاؤا غزاة ومعتدين، مغالطين في عدوانهم هذا، ومبررين، وفوق كل هذا جاءت الصهيونية مدعومة بحراب الاستعمار، ووقفت الى جانب كل ما هورجعي ومتخلف في هذا العصر، مسلحة بالحقد والعدوان.

● ترى، الان نخشى ان يكون تميز حركتنا هذا دافعاً لحركات التحرر في العالم

الثالث لأن نخشى حركتنا في المستقبل؟

هناك تهمة روجها الاستعمار من قبل، ويروجها اليوم. . وهي ان العرب امة تريد ان تتوسع. وتسعى الصهيونية اليوم في افريقيا لنشر مثل هذه الاكذوبة. ان آسيا بعيدة، وليس فيها اذن صاغية لمثل هذا الكلام: لكن افريقيا قريبة من الامة العربية. . وهي متأخرة حضارياً. . مفتتة الى دويلات. . وتشعر بالضعف. ولهذا اختارتها الصهيونية أرضاً لزراع مثل هذه الافكار عن العرب. كما ان اوربا روجت للفكرة ذاتها. إلا ان كل هذه المساعي باءت بالفشل نظراً لعمق الروابط بين الامة العربية وافريقيا.

نحن نراهن على الميزة التي نتميز بها عن غيرنا من الامم، وكثوريين عرب. . كحزب ثوري، حزب الثورة العربية، نرى ان هذه الميزة هي العروة الوثقى. . لأن العرب انفردوا بكون نهضتهم الاولى التي كونتهم كأمة اقترنت برسالة دينية لها خصائصها المعروفة. . ولذلك، ومادما نعتبر العروبة جسماً روحه الاسلام فلا خوف

ان تشتط القومية العربية وتقع في الامراض التي وقعت فيها الدول الاستعمارية .
نشير أيضاً الى شيء آخر له نفس الاهمية، غير هذه الميزة الروحية التاريخية
التي طبعت المصير العربي . هناك التجربة الحالية التي تخوضها الامة العربية . .
وهي المعاناة . معاناة الظلم الاستعماري . . التخلف . . الظلم الداخلي . .
الاستغلال الطبقي . . ومعاناة التجزئة القومية . هذه التجربة، مع الاساس الروحي
القديم تخلق القناعة بأن الحضارة العربية الجديدة ستكون مختلفة عن الحضارات
التي عرفتها الانسانية . . وستكون لها قيم جديدة . . وهذا ما نسميه الرسالة العربية .
اي انها حصيلة الرسالة الخالدة في تاريخهم والمعاناة في عصرهم الراهن .

نحن قلنا في قضية هي، نسبياً، صغيرة، ولكنها نموذجية . هي قضية الاكراد:
اذا لم نحلها بشكل مبدئي وكأنا في عصر الخلفاء الراشدين، فان التمرد سيعود .
عندما جئت في تموز الماضي ورأيت الرفاق القياديين يذهبون الى الشمال،
ويعودون منه، استبشرت، بالروح المبدئية العالية التي كانوا يعالجون بها الامور
ويواجهون المستقبل . وقلت لهم هذا الكلام . . نحن نريد من الاكراد ان يفهموا
انهم شعب شقيق، يجد مستقبله مع العرب، في ظل العدل . . وهو يريد ان يتخلص
من الاقطاع ومن الاستعمار .

فقضيتنا، اذن، صعبة الى حد انه لاينجح فيها الا المستوى الذي هو بين
الارض والسماء . . او المستوى الذي تكون فيه الارض والسماء ممتزجتين . . لما
تواجه من تكالب، ومشاكل، وسرطان صهيوني . وهذا بطبيعة الحال، لايتنافى ولا
يتعارض مطلقاً مع التنظيم العصري والعلم الحديث في مواجهة الصراع القاسي .
هذه الميزة الروحية لثورتنا هي الجو الذي يغلفها، ولا يبعدها عن العلم .

نحن نسعى لاستثمار أرضنا وثرواتنا بالاساليب الحديثة . وننظم جيوشنا
بالاساليب الحديثة . . ولكن الروح التي تلهمنا هي هذه . . الرسالة الخالدة .

فكرة الرسالة التي هي مستمدة أساساً من التراث . . وفكرة الاخلاقية التي قلنا
عنها انها من نوع خاص، والتي ينبغي ان تميز الثورة العربية بأسلوبها وسلوكها
وتعاملها . . هذه الامور اذا أخذناها من الناحية العلمية فإنها تبدو لنا ضرورات

للنجاح . فهي ليست فقط صفات ملازمة لنا بطبيعتنا ، ومقدرة علينا لاننا من هذه الامة ، وتاريخ الامة يفرضها عليها .

لو اننا حللنا اوضاعنا و اردنا ان نضع خطة مدروسة لتقدمنا وتحررنا ، فلن نجد مندوحة من وضع هذه الاشياء كضمان لنجاح ثورتنا^(١) .

الاخلاقية في حزبنا ليست فضيلة . . هي ضرورة ، كما التنظيم ضرورة . كما ان الفكر ضرورة ، هي أيضاً كذلك . هذه الاخلاقية ضرورية لنجاح ثورتنا .

تكلمنا عن الكيفية التي توصل بها الحزب الى فكرة الرسالة ، وعن منابعها . . ولكننا اليوم ، وبعد مضي اكثر من ثلاثين سنة على نشوء الحزب تبدلونا المسألة وكأنا اخذنا بفكرة الرسالة بعد ان درسنا خطة لنجاح الثورة العربية . فالثورة العربية لاتنجح الا اذا آمنت برسالة . وهذا الايمان هو الذي يحرك الجماهير العربية ويوحدها . نجد هذا بصور شتى ، ويحجوم اصغر عند امم اخرى . . ولكنه عندنا يشكل ضرورة قاهرة .

ان الثورة هي من اجل القضاء على التخلف والاستغلال . . من اجل القضاء على الاستعمار . . ومن اجل سعادة الناس . . الخ . ولكن كل هذا يأتي بالدرجة الثانية بعد الرسالة . . لانك اذا لم تضع الرسالة في الدرجة الاولى لاتتحرر من الاستعمار ، ولا تتخلص من الصهيونية . فهذه الاشياء هي المميزة فعلاً لحركتنا^(٢) ، لان التفكير الماركسي ، وشبه الماركسي ، «والعلمي» وشبه العلمي لا يوصل الى هذه الحقائق . . وأحياناً يوصل الى الاستهزاء بها والتنكر لها ومجافاتها . . وبالتالي الى التعثر والفشل .

١ نيسان ١٩٧٦

(١) «ان استفحال الامراض التي تفتك بالامة ، وعمق الالام التي تحز في جسمها لم تعد تنجع فيهما حيلة السياسيين ، مهما كانوا اذكاء بارعين ، ولا بد لها من مناضلين مؤتمنين يستمدون روح نضالهم واسلوبه من روح أمتهم واخلاقها . .» - ١٩٤٣ .

(٢) «طلب العرب السماء فملكوا الارض ، فلما اقتصروا على طلب الارض ، اضاعوها والسماء معاً . لا يسيطر العرب على حياتهم حتى يؤمنوا بالخلود . ولاتعود اليهم ملكية ارضهم حتى يؤمنوا بالجنة من جديد .» - ١٩٤٦ .